نادي الجسرة الثقافي والاجتماعي
Al Jasrah Cultural & Social Club

سلسلة الذين أضاءوا الدَّرب ٥

أيُّها الطِفْلُ العَرَبِيُّ لكَ تَارِيخٌ عَرَبِيٌّ مُشَرِّفٌ، فَاقْرَأْ، وَتَعَلَّمْ، واعْمَلْ.

ابنُ تيميّةَ شيخُ الإسلامِ ومحيي السُّنَّةِ

بقلم: د. سناء شعلان

رسم: عاصف نصري

ابنُ تيميّةَ

"شيخُ الإسلامِ ومحيي السُّنّةِ"

د. سناء شعلان

الشّجرةُ الطّيبةُ

الأرضُ الطّيبةُ لا تطرحُ (تُعطي) إلا أشجاراً طيبةً، وأحمدُ ابنُ تيميّةَ شجرةٌ طيبةٌ من أرضٍ طيبةٍ، فقدْ وُلدَ أحمدُ بنُ عبدِالحليمِ بنِ عبدِالسّلامِ بنِ عبدِاللّهِ بنِ تيميّةِ النّمريّ الحرّانيّ الدّمشقيّ، تقيّ الدّينِ أبو العبّاسِ في عائلةٍ اُشتهرتْ بالعلمِ والفقهِ الحنبليّ، فقدْ كانَ أبوه وأجدادُهُ وأخوانُهُ وكثيرٌ منْ أعمامِهِ منْ العلماءِ المَشاهيرِ، كذلكَ كانتْ أمُّهُ أو والدةُ جدِّهِ محمدٍ، وكانتْ تُسمّى تيميّةُ واعظةً (مَنْ تنصحُ وتذكّرُ وتأمرُ بالمعروفِ وتنهى عن المنكرِ) فُنسبَ إليَها، وعُرفَ بِهَا.

وكانَ مولدُ ابنِ تيميّةَ المباركُ في يوم الاثنينِ الموافق ١٠ ربيعِ الأوّلِ للعامِ ٦٦١هـ، الموافقِ ١٢ كانون الثاني ١٢٦٣م، وذلكَ في حرَّانَ، وهي بلدةٌ تقعَ في الشّمالِ الشّرقيّ من بلادِ

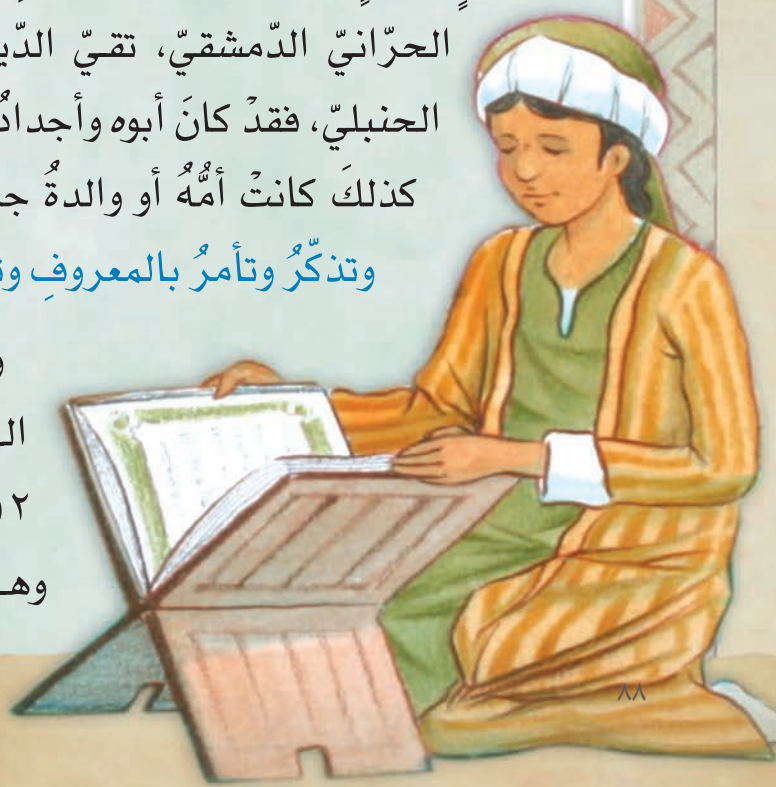

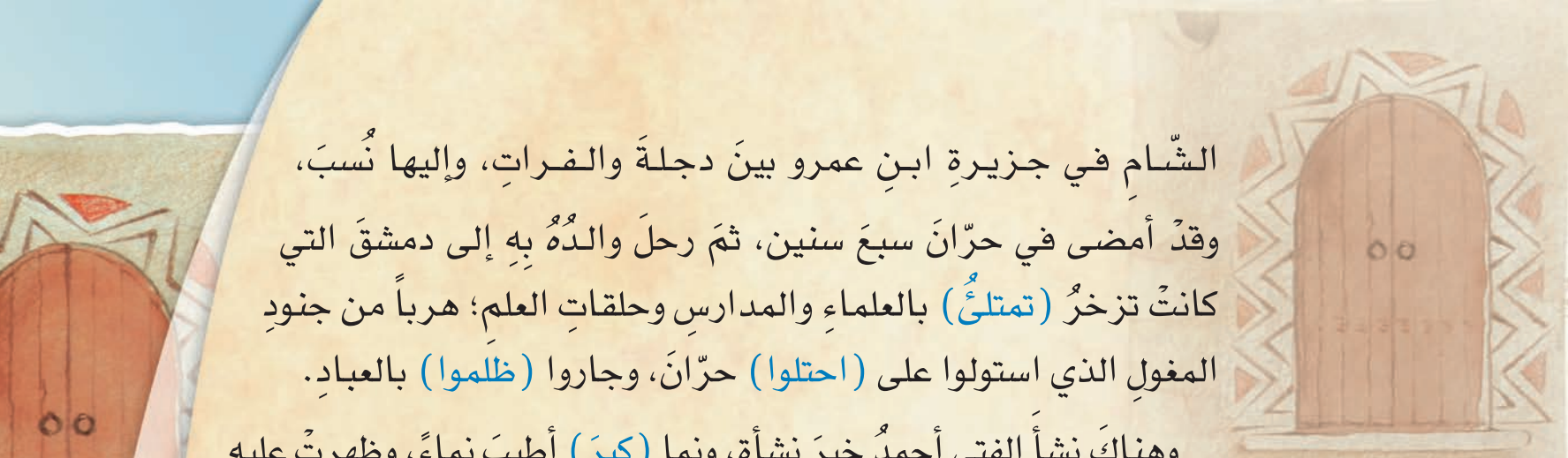

الشّامِ في جزيرةِ ابنِ عمرو بينَ دجلةَ والفراتِ، وإليها نُسبَ، وقدْ أمضى في حرّانَ سبعَ سنين، ثمَ رحلَ والدُهُ بِهِ إلى دمشقَ التي كانتْ تزخرُ (تمتلئُ) بالعلماءِ والمدارسِ وحلقاتِ العلم؛ هرباً من جنودِ المغولِ الذي استولوا على (احتلوا) حرّانَ، وجاروا (ظلَموا) بالعبادِ.

وهناكَ نشأَ الفتى أحمدُ خيرَ نشأةٍ، ونما (كبرَ) أطيبَ نماءً، وظهرتْ عليهِ مخايلُ (جمعُ مَخيلَةٍ، وهي الدلائلُ) الذّكاءِ، ودلائلُ العنايةِ بِهِ، وتفرّغَ للعلمِ ولطلبِهِ، فتتلمذَ على يديّ والدهِ ثمَ على أيدي علماءَ عصرِهِ، حتى قيلَ إنّهم بلغوا مئتي عالمٍ في شتّى ضروبِ (جمعُ ضربٍ، وهو النّوعُ) العلمِ والمعرفةِ. واشتغلَ (عملَ، وقضى وقتَهُ) بحفظِ القرآنِ وتفسيرِهِ، وحفظِ الحديثِ ودراسةِ السّيرةِ النّبويّةِ والفقهِ واللّغةِ العربيّةِ والخّطِ والحِسابِ، وكانَ اللّه قد خصَّهُ (ميّزَهُ وأعطَاهُ) بذاكرةٍ حافظةٍ، وقلبٍ سريعِ الإدراكِ (الفهم)، فأتقنَ العلومَ، وهوَ دونَ العاشرةِ من عمرِهِ، فأدهشَ أساتذَتَهُ وشيوخَهُ منْ شدّةِ ذكائِهِ وحافظتِهِ، فلمْ يكنْ يستمعُ لشيءٍ إلا علقَ في خاطرِهِ (حفظَهُ) بلفظِهِ ومعناهِ، وكأنّهُ نُقشَ في نفسِهِ، إذْ لم يكنْ كغيرِهِ من الصّبيةِ يلعبُ ويلهو، بل كانَ يطلبُ مجالسَ العلماءِ دونَ مللٍ أو كللٍ (تعبٍ) يستمعُ إليهم، ويستفيدُ منهُم، وما كادَ يبلغُ السّابعةَ عشرةَ منِ عمرِهِ حتى بزَّ أقرانَهُ (تفوّقَ على أصحابِهِ وزملائِهِ) وفاقَ (تفوّقَ على) علماءَ عصرِهِ، وتفرّغَ للتأليفِ، فاتسعتْ شهرَتُهُ، وذاعَ صيتُهُ، وتولّى التّدريسَ بدلاً من والدِهِ الذي تُوفيّ، وكانَ من كبارِ الفقهاءِ (الفقيه: العالم بأصولِ الشَّريعةِ الإسلاميّةِ وأحكامِهَا) في الفقهِ الحّنبليّ وانتهتْ إليهِ بذلكَ الإمامةُ (الرئاسةُ الدّينيّةُ) في العلمِ والعملِ، وكانَ

مذهبُهُ (طريقتُهُ) التّوفيقَ بينَ المعقولِ (الذي يقبلُهُ العقلُ) والمنقولِ (الواردِ في القرآنِ الكريمِ وفي السّنّةِ النّبويةِ).

وكانَ أحمدُ إذا أرادَ الذّهابَ إلى مجالسِ العلم اعترضَهُ جارٌ لَهُ يهوديٌّ، كانَ منزلُهُ في طريقِ أحمدَ، ويسألُهُ مسائلَ، فيجيبُ عنّها أحمدُ سريعاً بفطنةٍ (بذكاءٍ) ودرايةٍ (معرفةٍ)، ويخبرُهُ بأشياءٍ تدلُّ على بطلانِ ما هوَ عليهِ، فلمْ يلبثْ أنْ أسلمَ اليهوديُّ، وحسنَ إسلامُهُ، وكانَ ذلكَ ببركةِ الشّيخِ ابنِ تيميةِ على الرّغمِ من صغرِ سنّهِ.

كذلكَ كانَ أحمدُ منقطعاً للعلم، زاهداً (تاركاً لحلالِ الدّنيا مخافةِ حسابِها، وتاركاً لحرامِهَا مخافَةَ عقابِهَا) فيما غيره، وقدْ طلبَ والدُهُ من شيخِهِ الذي يعلمُهُ القرآنَ الكريمَ وهو صغيرٌ أنْ يعِدَهُ بأربعين درهماً كلَّ شهرٍ إنْ أحرزَ (حقّقَ) تقدّماً في حفظِ القرآنِ، لكنَّ أحمدَ امتنعَ (رفضَ) عن قبولِهَا، وقالَ لشيخِهِ: " يا سيدي إنّي عاهدتُ اللّهَ تعالى على أن لا آخذَ على القرآنِ أجراً ". ولم يأخذَهَا، فاستبشرَ (توقّعَ خيراً) شيخُهُ ووالدُهُ بِهِ خيراً بعدَ هذِهِ الحكايةِ، وكذلك كانَ.

منارةُ العلمِ والتّقوى

باركَ اللّهُ جلَّ وعلا لابنِ تيميّةَ في علمِهِ وجعلَهُ حجةً (عالماً عارفاً) على أهلِ عصرِهِ، وعالمَ زمانِهِ، ويسّرَ لَهُ التعمّقَ في العلومِ، وأصبحَ

قبلةَ المتعلّمينَ والباحثينَ عَن فتاوى (جمعُ فتوى، وهي الجوابُ عما يُشكلُ من المسائلِ الشّرعيّةِ والقانونيّةِ)، حتى كانَ لَهُ جيشٌ منَ التلاميذِ الذين كانَ للكثير منهُمْ شأنٌ فيما بعد (تميّزوا وأبدعوا) وأكرمَهُ اللّه بفائضِ علمِهِ، وإتقانِهِ، وإدراكِهِ، فلم يرَ النّاسُ أوسعَ مِنْ علمِهِ، ولا أرفعَ مِنْ درايتِهِ (معرفتِهِ) حتى قيلَ: "لم ترَ عينٌ من رأى مثلَهُ، ولا رأتْ عينُهُ مثلَ نفسِهِ" فسُمّيَ "شيخُ الإسلامِ"، كذلكَ لُقّبَ بـ "محييّ السَّنّةِ"؛ لأنَهُ كانَ يتحرّى (يطلبُ ويقصدُ) سننَ النبّي محمدٍ – صلّى اللّه عليهِ وسلّم –، فيطبّقُها، ويُلزمُ نفسَهُ بِهَا، ويدافعُ عنهَا، ويرفضُ البدعَ (جمعُ بدعةٍ، وهي ما أُستحدثَ في الدّينِ) بعدَ أنْ درسَ الحديثَ، والسّنَّة وأفعالَ النّبي وأقوالَهُ وحياتَهُ ومعجزاتِهِ، حتى قِيلَ: "كلُّ حديثٍ لا يعرفُهُ ابنُ تيميّةَ ليسَ بحديثٍ".

وبذلَ ابنُ تيميّةَ غايةَ (كلَّ) جهدِهِ في محاربةِ أهلِ البدعِ، فرفضَ أن يقومَ فقراءُ الأحمديّةِ بلبسِ الأطواقِ الحديديّةِ في أعناقِهِم، وأكلِ الحيّاتِ، والدخولِ في النّارِ المشتعلةِ، كما رفضَ بقوةٍ أن يستغيثُ (يطلبَ العونَ والمساعدةَ) المسلمُ بأحدٍ منَ الخلقِ، وإنّما عليهِ أنْ يستغيثَ باللّهِ وحدَهُ، ونادَى بذلكَ (طالبَ بذلكَ) في جموعِ المسلمين؛ ولذلكَ فقدْ قامَ باقتلاعِ الصّخرةِ التي كانتْ في مسجدِ النّارنج؛ لأنَّ النّاسَ يتبرّكون بها (يطلبون منها الخيرَ والنّماءَ والزيادةَ)؛ لأنّهم يعتقدون أنَّ الأثرَ (العلامةَ) الذي عليهَا هوَ لقدمِ النّبي –صلّى اللّه عليهِ وسلّمَ– ولم يبالِ (يهتمّ) بغضبِ كثيرٍ من النّاسِ بسببِ فعلِهِ.

وتفرّغَ ابنُ تيميّةَ لمجالسِ العلمِ والإفتاءِ، فكانَ يبدأُ مجلسَهُ كلَّ يوم بصلاةِ ركعتين، ثم يحمدُ اللّهَ، ويثني عليهِ، وعلى رسولِهِ الكريم، ثم يشرَعُ (يبدأُ) بدرسِهِ، فيغمضُ عينيهِ، ويتكلّمُ بلغةٍ ساحرةٍ تخطفُ ألبابَ (جمعُ لبٍ، وهوَ العقلُ) الحاضرين، وكأنّهُ يفيضُ من بحرٍ، فَتَمْتلِئُ نفوسُ الحاضرين بهيبتِهِ، حتى إذا ما فرغَ (انتهى) من درسِهِ فَتح عينيْهِ، وأقبَلَ على الحاضرين بلطيفِ القولِ، وكانَ يوافي (يحضرُ) مجلسَهُ خلقٌ كثيرٌ من العلماءِ والقادةِ والفقهاءِ والأدباءِ وسائرِ عوامِ (عامةِ) المسلمين.

وكانَ إذا قرأَ في مجلسِهِ آيةً من القرآنِ الكريمِ طَفَقَ (بدأَ) يفسّرُهَا، فينقضي المجلسُ بجملتِهِ (كلِّهِ) ومقدارُهُ ربعُ النّهارِ، وهو في تفسيرِ تلكَ الآيةِ، دونَ أن يقرأَ من كتابٍ، وقدْ أملى تفسيرَ آيةِ "قل هو اللّه أحد" في مجلدٍ ضخمٍ.

وما كانَ يخلو مجلسُهُ من الإفتاءِ والإجابةِ عن المسائلِ، وقد جمعَ تلاميذُهُ أكثرَ من أربعين ألفَ مسألةٍ، قلَّ أنْ تكونَ الإجابةُ عن الواحدةِ منها في أقلّ من كتابٍ كبيرٍ، يحتاجُ غيرُهُ إلى زمنٍ طويلٍ ومطالعةٍ طويلةٍ ليقدرَ على أنْ يكتبَ مثلَهُ، وقدْ لا يقدرُ. وكانَ لا يسأمُ (لا يملُّ) ممنْ يستفتيهِ (يطلبُ فتواهُ) أو يسألَهُ، بل يكلّمُهُ ببشاشةٍ (بابتسامةٍ)، حتى يكونُ هو الذي يفارقُهُ، بعد أن يُفهمَهُ الخطأَ من الصّوابِ بلطفٍ وانبساطٍ.

أمّا سائرُ نهارِهِ، فقدْ كانَ يقطعُهُ (يمضيهُ) في عيادةِ (زيارةِ) المرضى في البيوتِ وفي المارستان (المستشفى)، وفي تفقّدِ المحتاجين والفقراءِ لا سيما من الفقهاءِ والقرّاءِ، وكانَ في ذلكَ كريماً متواضعاً، يحترمُ الكبيرَ والصّغيرَ، والغنيَّ والفقيرَ، ويُدني الفقيرَ

الصالحَ، ويؤنسُهُ، ويقومُ على خدمتِهِ طلباً لمرضاةِ اللّهِ، ويكرمُهُ أشدَّ الكرم، إذ كانَ الكرم من سجاياه (جمعُ سجيةٍ، وهي الطّبعُ الأصيلُ في النّفسِ) الأصيلةِ، وإنْ لم يجدْ ما يتصدّقُ بهِ عليهِ، خلعَ شيئاً من ملابسِهِ، وتصدّقَ بِها متخفّياً كي لا يراهُ أحدٌ، وتكونُ الصّدقةُ خالصةً لوجهِ اللّهِ.

وهو في سائرِ أمرِهِ زاهدٌ لا يقبلُ جرايةً (الرّاتبَ الدّائمَ المستمرَّ) ولا صلةً (هبةً) لنفسِهِ من سلطانٍ أو أميرٍ أو تاجرٍ، ولا يدّخرُ ديناراً أو درهماً أو متاعاً أو طعاماً، بل كانَ العلمُ هوَ بضاعتُهُ وطِلْبَتُهُ (ما يطلبُ)، وما كانَ يطلبُ طعاماً لاشتغالِهِ بالعلمِ إلّا أن يأتي أهلُهُ بِهِ إليهِ، كذلكَ لا يشتري لباساً جديداً، ولا يغيّرُ ملابسَهُ حتى يبدّلَهَا أهلُهُ لَهُ، ولا يخوضُ في حديثٍ عن ملذّاتِ الدّنيا، بل همُّهُ طلبُ الآخرةِ ومرضاةُ اللّهِ، وهوَ في كلِّ شأنِهِ متواضعٌ، جميلُ النّفسِ.

أمّا ليلُهُ فيقضيهِ بالتعبّدِ، وقراءةِ القرآنِ الكريمِ، حتى إذا ما ذهبَ اللّيلُ، وحضرَ مع النّاسِ صلاةَ الفجرِ انقطَعَ للدّعاءِ ولذكرِ اللّهِ حتى شروقِ الشّمسِ، لا يكلّمُ أحداً أبداً أثناءَ ذلكَ، وكانَ غالبُ دعائِهِ: "اللّهُمَّ انصرْنَا، ولا تنصُر علينا، وامكُر لَنَا، ولا تمكرُ علينا، واهدنَا، ويسّرْ الهدى لَنَا، اللّهُمَّ اجعلنَا لَكَ شاكرين لكَ ذاكرين، أوّاهين لَكَ، راغبين إليكَ، راجين لَكَ، ربّنا تقبّل توبَتَنا، وثبِّتْ حجَجَنا، واهدِ قلوبَنَا، واسلُلْ سخيمةَ صدورِنَا".

قلبُ أسدٍ

مَنَّ اللّه (أنعمَ عليهِ نعمةً) على ابنِ تيميّةَ بقلبٍ جسورٍ، لا يعرفُ الخوفَ، فقدْ كانَ أشجعَ النّاسِ في قولِ الحقِّ، يجاهدُ في سبيلِ اللّهِ بقلبهِ ولسانِهِ ويدِهِ، ولا يخافُ في اللّهِ لومةَ لائمٍ، لذلكَ فقدْ جاهدَ طوالَ حياتِهِ البِدعَ، وشنَّ حرباً على أهلِ الضّلالِ والنّفاقِ.

أمّا في ساحةِ الوَغى (الحربِ) فقدْ كانَ يتقدمُ الجيوشَ، لا يخافُ الموتَ، يهجُم على الأعداءِ، كأنّهُ يطلُب المنيّةَ (الموتَ)، وقدْ ضربَ مثالاً رائعاً للبطولةِ في جهادِهِ في فتحِ عكا (مدينةٍ ساحليةٍ فلسطينيّةٍ)، وكانَ السّببُ في تملّكِ المسلمين إيّاهَا بفعلِهِ ومشورتِهِ وحسنِ رأيِهِ، كما كانَ مَنْ يشدُّ أزرَ (يساعدُ) المجاهدين المسلمين، ويبيِّنَ لهُمْ فضلَ الجهادِ، وأجرَ المجاهدِ والشّهيدِ.

وكانَ ابنُ تيميّةَ أوّلَ مَنْ شدَّ على (ركبَ) ظهرِ حصانِهِ، ليكونَ في طليعةِ جيوشِ المسلمينِ التي حارَبتْ المغولَ في شقحب جنوبي دمشق حيثُ انتصرَ المسلمون، وسلمتْ بذلكَ بلادُ الشّامِ وفلسطينُ ومصرُ والحجازُ من بوائقَ (جمعُ بائقةٍ، وهي الشّرُ) المغولِ.

وذهبَ على رأسِ وفدٍ من العلماءِ، وقابلَ (قازانَ) ملكَ المغولِ، وأخذَ يخوّفُهُ تارةً (مرةً) ويقنعُهُ أخرى، حتى اقتنعَ (قازانُ) بإيقافِ زحفِ جيوشِهِ على دمشقَ، وأطلقَ سراحَ جميعِ الأسرى المسلمين.

الله اكبر

السّجنُ وطريقُ الآلامِ

إذا أحبَ اللّهُ عبداً، فإنّهُ يمتحنُهُ ليرى مدى إيمانِهِ، وقدْ أُمتحنَ ابنُ تيميّةٍ بفتنةِ السّجنِ، فصبرَ، واحتسبَ أجرَهُ عندَ اللهِ، إذْ كانَ من أعظمِ أهلِ عصرِهِ قوةً في قولِ الحقِ، وثباتاً عليهِ، عاضّاً عليهِ بنواجذِهِ (متمسكاً بهِ بقوةٍ) لا يعبأُ (لا يبالي) بغضبِ أيِّ إنسانٍ، لذلكَ فقدْ أحبَّهُ النّاسُ، والتفوا حولَهُ، فكرهَهُ الحاسدون، وامتلأتْ قلوبُهُم غيظاً.

وهوَ مَنْ تصدّى لأعداءِ الإسلامِ من أهلِ المذاهبِ الباطلةِ وأهلِ البدعِ، فكادوا لَهُ، وأوقعوا بينَهُ وبَينَ سلطانِ مصرِ والشّامِ ركنِ الدّينِ بيبرسَ الجاشنكيرَ، فنقلُ إلى مصرَ، وتمّتْ محاكمتُهُ بحضورِ القضاةِ وكبارِ رجالِ الدّولةِ، فحكموا عليهِ بالحبسِ سنةً ونصفاً في القلعةِ، ثم أخرجوهُ من السّجنِ، وعقدوا جلسةَ مناظرةٍ بينَهُ وبينَ منافسيهِ وخصومِهِ (منافسيهِ) فكسبَ ابنُ تيميّةَ المناظرةَ. لكنّهُ لم ينجُ منهُمْ، فنُفي إلى الشّامِ، ثم عادَ مرةً أخرى إلى مصرَ، وحُبسَ فيها، ثم نُقلَ إلى الإسكندريّةِ حيثُ حُبسَ هناكَ ثمانيةَ شهورٍ. واستمرّتْ محنةُ (أزمةُ) ابنِ تيميّةَ إلى أنْ عادَ إلى القاهرةِ، وقرّرَ السّلطانُ الملكُ النّاصرُ محمدُ بنُ قلاوونَ براءتَهُ من التّهمِ الموجّهةِ إليهِ، وأعطاهُ الحقَّ في معاقبةِ خصومِهِ الذين كانوا وراءَ سجنِهِ وتعذيبِهِ، فما كانَ من شيخِ الإسلامِ الجليلِ إلاّ أن عفا عنهُمْ (سامحَهُمْ)؛ إكراماً للّهِ.

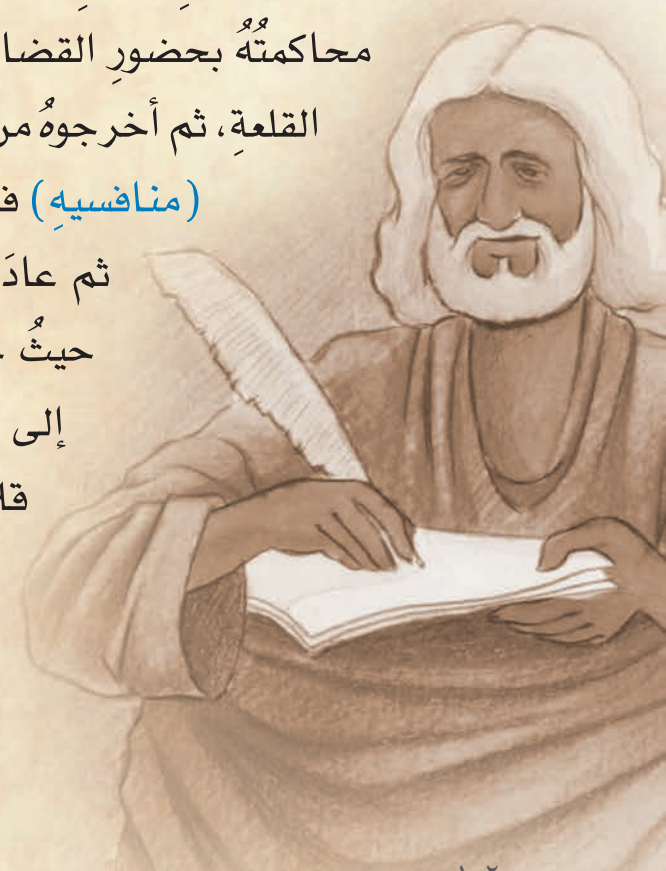

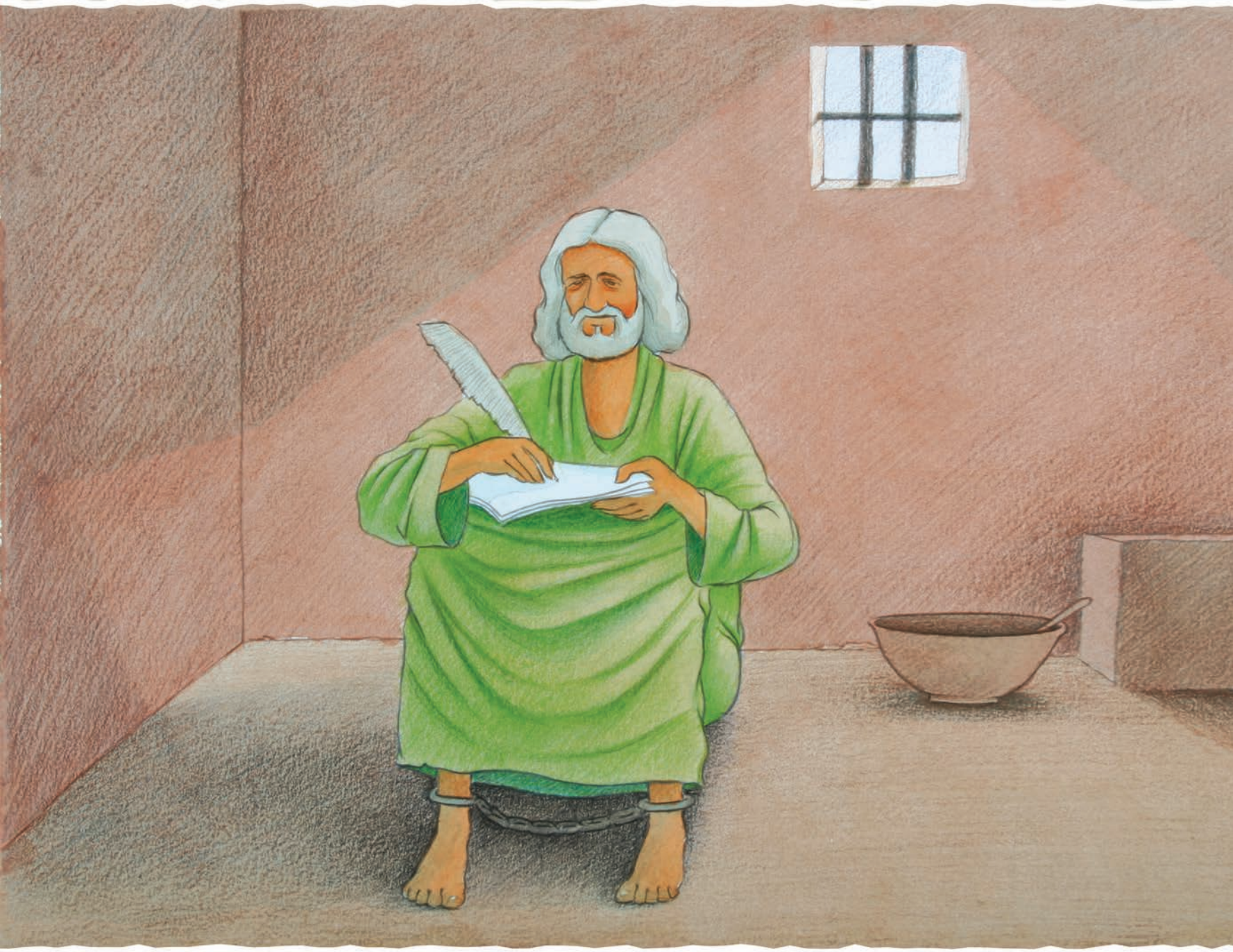

ثم تجدّدتْ محنةُ ابنِ تيميّةَ، عندما عادَ إلى دمشقَ، ورفضَ أن يغيّرَ فتواهُ في مسألةٍ، أمَرَهُ السّلطان أنْ يغيرَ رأيَهُ فيها، لكنّهُ رفضَ ذلكَ بقوةٍ، وتمسّكَ برأيِهِ قائلاً: "لا يسعني كتمانُ العلمِ"، فسجنَهُ السّلطانُ من جديدٍ لستةِ أشهرٍ، ليخرجَ بعدَ ذلكَ، ويُفتي بحرمةِ شدِّ الرّحالِ (التهيّأُ للسّفرِ) إلى قبورِ الأنبياءِ والصالحين، فانتهزَ خصومُهُ الفرصةَ، وألّبوا (حرّضوا) السّلطانَ عليهِ مرةً أخرى، فقامَ بحبسِهِ من جديدٍ وأخاه الذي كان يخدمُهُ، وكانَ ذلكَ في سنةِ ٧٢٦هـ، ومكثَ في ذلكَ السّجنِ حتى توفّاهُ اللّه.

وكشأنِ العظماءِ فقدْ صيّرَ ابنُ تيميّةَ محنتَهُ في السّجنِ إلى سبيلٍ للنّجاحِ والعطاءِ، وانقطعَ في سجنِهِ للعبادةِ، وللتأليفِ والكتابةِ، فألّفَ جُلَّ (معظمَ) مؤلفاتِهِ في رحلتِهِ الطّويلةِ في السّجونِ، وهي كثيرةٌ إلى حدٍّ يتعذّرُ معَهُ أنْ تُحصى (تعدَّ)، وقدْ قيلَ إنّها قد بلغتْ الخمسمئةِ مصنّفٍ (كتابٍ) ومجلّدٍ، وعندما منعَهُ سجّانوهُ من الحبرِ والورقِ، وأرادوا كتمانَ صوتِهِ، لم تلِنْ (تضعفْ) عزيمتُهُ، وتحدّاهم، فكانَ يكتبُ بالفحمِ على أوراقٍ مبعثرةٍ هنا وهناكَ، دونَ أن يطّلعَ على كتابٍ بل يكتبُ من حافظتِهِ (ذاكرتِهِ)، وكانَ ديدنُهُ (عادتُهُ) في سجنِهِ شكرَ اللّهِ على كلِّ شيءٍ، وترديد مقولتِهِ: "ما يصنعُ أعدائي بي ؟!! أنا جنتي وبستاني في صدري أنّى (أينما) رحتُ، فهي معي لا تفارقني، إنَّ حبسي خلوةٌ، وقتلي شهادةٌ، وإخراجي من بلدي سياحةٌ". وكانَ يقولُ كذلكَ في سجنِهِ: "المحبوسُ مَنْ حَبسَ قلبَهُ عن ربِهِ، والمأسورُ مَنْ أسَرَهُ هواهُ".

وقدْ قدّرَ اللّهُ للمؤمنِ الصّادقِ والعابدِ المخلصِ ابنِ تيمّيةَ أنْ يكونَ السّجنُ سبباً لاعتكافِهِ (انقطاعِهِ) على التّأليفِ، كما كانَ سجنِهِ في الدّيارِ المصريّةِ سبباً عظيماً لانتشارِ مصنّفاتِهِ في بلادِ المغربِ قاطبةٍ، في حينِ كانَ وجودُهُ في بلادِ الشّامِ سبباً في انتشارِ علمِهِ في البلادِ الشّرقيّةِ.

أفولُ الشّمسِ

لابدَّ للشّمسِ من أفولٍ (غيابٍ)، وابنُ تيميّةَ كان شمساً، أشرقتْ بإرادةِ اللّهِ، وكانَ أفولُها بإرادتِهِ أيضاً، ففي يوم ٢٦ من ذي القعدةِ سنة ٧٢٨هـ، لبّى ابنُ تيميّةَ نداءَ ربّهِ، وانتقلَ إلى جوارِهِ عن عمر ٦٧ عاماً، بعدَ مرضٍ دامَ بضعةٍ وعشرين يوماً، ولم يعلمْ به أكثرُ النّاسِ، الذين جزعوا (حزنوا بشدّةٍ) من خبرِ موتِهِ، واجتمعوا حولَ القلعةِ حيثُ سجنِهِ في دمشقَ، وفتحوا بابَ القلعةِ، التي امتلأتْ بالخلقِ، الذين صلّوا عليهِ، وشيّعوهُ إلى ظاهرِ (الأرضِ المرتفعةِ) دمشقَ حيثُ مرقدُهُ الأخيرُ، وكانوا عندئذٍ يربون (يزيدون) على خمسين ألفٍ من المشيعّين من قادةٍ وعلماءَ وجندٍ وعامةٍ من رجالٍ ونساءٍ وصبيةٍ، حتى خلتْ دمشقُ من أهلِهَا، وأُغلقتْ الأسواقُ، وعطّلتْ الأعمالُ، وصُليّتْ عليهِ صلاةُ الغائبِ في مصرَ والعراقِ وكثيرٍ من ديارِ المسلمين، وخُتمتْ له الختماتُ، ورثاهُ كثيرٌ من الفضلاءِ بقصائدٍ حزينةٍ، وغابَ في التّرابِ، ولكن ما كانَ نسياً منسيّاً، بل خلّدهُ عملُهُ وجهادُهُ ونصرتُهُ للّهِ ولنبيّهِ ومصنفاتِهِ في سِفْرِ الخالدين، وفي قلبِ كلِّ مؤمنٍ مدافعٍ عن دينِهِ، طالبِ رضى ربِّهِ، فطوبى (خيرٌ وبركةٌ) لابنِ تيميّةَ، الذي كان حُجّةَ عصرِهِ، ومعيارَ الحقِ والباطلِ، ومؤثرَ الآجلَ (الحياةَ الآخرةَ) على العاجلِ (الحياةِ الدّنيا) وأعجوبةَ زمانِهِ، وبحرَ العلوم. فهلْ ينعمُ اللّه علينا بابنِ تيميّةَ آخر يقودُ عودةَ مسلمي هذا العصرِ إلى ربّهم منيبين مستغفرين ؟؟؟.

لوّن معنا